



السبت 2 فبراير 2013 12:02 م

د/ ياسر علي*

نقلاً عن جريدة الأهرام

في فبراير عام 1952 كان ميدلتون القائم بالأعمال البريطاني في طهران قد ضاق ذرعاً بصمود رئيس وزراء إيران محمد مصدق فكتب في تقرير سري نشر بعد ثلاثين عاماً من هذا التاريخ (إن هذا الرجل يبالغ في قوة الشعب كمصدر قدرته بحد يجعلني أخشى أنه لا يمكن إزاحته عن السلطة بطرق قانونية ليحل محله شخص آخر).

كانت هذه الكلمات مقدمة لعمل انقلابي علي الإرادة الشعبية التي جاءت بالسيد محمد مصدق إلي رئاسة الوزراء واقدامه علي مواجهة قوي داخلية قديمة وجماعات مصالح تقليدية ارتبطت بالنظام الملكي الذي كان يمثلته الشاه محمد رضا بهلوي وايضا مواجهة قوي اقليمية وعالمية تأمرت علي هذه الارادة واطاحت بالرجل الذي انعقدت الآمال عليه ليخرج الشعب الايراني الي فضاء اوسع سياسيا واقتصاديا

وحتي نقرأ الدرس المهم الذي تركه لنا التاريخ يجب ان نعود قليلا للوراء ليتسع الأفق وتظهر التفاصيل وحتي نستطيع ان ندرك ان الثورات حتي تكتمل لا بد لها من وعي وادراك بدروس التاريخ والشعوب

ان المتطلع للتاريخ الحديث لهذا البلد يجد ان النصف الأول من القرن العشرين في إيران قد تميز بتنامي المشاعر العنصرية القومية لدي النخبة الإيرانية الصاعدة وعامة الشعب واقتترنت هذه العنصرية بصراع مزدوج أولاً ضد الملكية الاستبدادية التي مثلها الشاه مدعوما من كبار ملاك الأراضي والجيش، وثانياً ضد بريطانيا للإفلات من استغلالها للموارد والمقدرات الإيرانية لفترات طويلة

كانت إيران و منذ عام 1925 تحت حكم رضا خان، والذي اورث الحكم من بعده لابنه الشاه رضا بهلوي في الأربعينيات من القرن الماضي، وكانت بريطانيا في تلك الحقبة تحتكر اكتشاف وتكرير وتسويق البترول الإيراني عبر الشركة الأنجلو-إيرانية التي كانت معظم أسهمها تمتلكها الحكومة البريطانية

وقد كانت عوائد إيران من إيرادات البترول تقل عما تدفعه تلك الشركة للحكومة البريطانية من ضرائب، وكان نصيب بريطانيا من استغلال البترول الإيراني قد بلغ في عام 1950 أكثر مما حصلت عليه إيران خلال نصف قرن من فوائد ثروتها البترولية وفي هذه الاثناء وصلت الحركة الوطنية الإيرانية إلي ذروة حراكها السياسي والاجتماعي في الأربعينات من القرن الماضي بتكوين حركة موحدة استطاعت أن تفرض مطالبها علي النخبة الحاكمة

تشكلت الحركة الوطنية في إيران من احزاب وجماعات مختلفة ذات اتجاهات متباينة، وكانت تضم بين اطيافها الليبراليين والتيار الديني والقوميين والاشتراكيين وقد اتخذت هذه القوي المختلفة موقفا واحدا تجاه قضية النفط والحد من سلطات الشاه

و كان اهم الاهداف المعلنة للحركة الوطنية في إيران في ذلك الوقت هو دعم عملية تأميم النفط الإيراني، وتشكيل حكومة وطنية بواسطة الانتخابات الحرة ورفع مستوى التنمية الاقتصادية في البلاد

وفي هذه الاثناء رفض مجلس النواب الإيراني الخامس عشر اتفاقية النفط الإيرانية السوفيتية لعام وطلب من الحكومة الإيرانية الدخول في مفاوضات مع شركة البترول الانكلو ايرانية، لإعادة النظر في اتفاقية عام 1933 بهدف رفع حصة إيران من ايراداتها البترولية، فقامت الشركة بدراسة طلب الحكومة الإيرانية، وتوصل الجانبان إلي عقد اتفاقية جديدة في السابع عشر من يوليو 1949، وعندما عرضت الاتفاقية علي البرلمان الإيراني للمصادقة عليها، قرر المجلس تشكيل لجنة لدراسة الاتفاقية برئاسة الدكتور محمد مصدق رجل القانون

وبعد مراجعة محتويات الاتفاقية ومناقشة بنودها رفضتها اللجنة البرلمانية رفضا قاطعا، وأوضح الدكتور مصدق إن اللجنة تري خير عمل تقوم به هو تأمين البترول

وعندما حاول حسن رزم آرا رئيس الوزراء في ذلك الوقت مواجهة حالة السخط بين الايرانيين ومطالبتهم بضرورة تأمين البترول، اغتيل في السابع من مارس1951. وفي اليوم التالي تبنت اللجنة البرلمانية الخاصة بهذا الموضوع قرار التأمين، ووافق مجلس النواب الإيراني بدوره علي القرار بعد اسبوع واحد من هذا التاريخ

ووضعت اللجنة المعنية قانونا لتنفيذ قرار التأمين، حظي بموافقة مجلس النواب وكذلك أوصي المجلس بأن يتولي الدكتور مصدق رئاسة الوزراء، ولم يكن أمام الشاه إلا الموافقة علي القانون وتعيين مصدق رئيسا للوزراء وبعد عدة اشهر، وبوساطة امريكية بدأت المباحثات بين حكومة الدكتور محمد مصدق وبريطانيا حيث اصرت بريطانيا علي ان تكون ادارة شؤون البترول بأيديهم وان تكون اكثر العوائد المالية لهم، وقد واجهوا من الجانب الإيراني مقاومة، و لم تفض هذه المباحثات الي شيء ذي بال، بالإضافة الي هذا فإن حكومة الدكتور مصدق قد نجحت في افشال محاولة بريطانيا لدفع القضية الي مجلس الامن حيث تم ابطال الدعاوي الحقوقية الخاصة ببريطانيا في هذا الموضوع

وهنا بدا ان ايران احرزت انتصارا كبيرا وزادت الشعبية الجارفة للدكتور مصدق رغم ان ايران قد بدأت تواجه مشاكل اقتصادية عديدة منها المقاطعة البترولية وعدم القدرة علي بيع ولو قطرة واحدة منه، في الوقت الذي كانت فيه ميزانية البلاد تقوم في الغالب علي اساس الموارد النفطية وفي المحصلة تحملت الحكومة ضغوطا اقتصادية عديدة واخفقت كذلك في سد وتجاوز العجز في ميزان المدفوعات والموازنة بشكل عام

أدي الحصار المفروض علي تصدير البترول الإيراني الي تفاقم الأوضاع الاقتصادية، كما فشلت محاولات مصدق في الحصول علي قروض من الولايات المتحدة التي اتخذت موقف العداء من التأمين

وعلي الصعيد الداخلي واجه مصدق مشاكل سياسية كبيرة فمن جهة كان محمد رضا شاه وكبار ملاك الأراضي وقادة الجيش يتحينون الفرصة للتخلص منه بسبب إجراءاته التي ابعدها العناصر المؤيدة للملكية من وزارته واحتفظ لنفسه بمنصب وزير الدفاع ونقل أراضي الشاه الي الدولة وقلص ميزانية البلاط وبدا برنامجا للإصلاح الزراعي وشكل لجنة برلمانية للتحقيق في الفساد والرشاوي، ووصل الخلاف بين مصدق والشاه الي حد مغادرة الأخير ايران في اغسطس1953 هاربا الي بغداد ومنها الي روما

في تلك الأثناء تم اعداد حملة اعلامية مضادة للنيل من شعبية مصدق وإجراءاته الإصلاحية داخليا ودوليا من خلال الاعلام البريطاني والامريكي حيث قالت التايمز' إن انتخابه كان أسوأ كارثة للعالم المضاد للشيوعية منذ الزحف الأحمر الصيني في الأربعينيات' ووصفته نيويورك تايمز بالدكتاتور وشبهته بستيالين وهتلر

ورغم شعبية الرجل وصدقه واعلائه لمصالح بلاده الا ان المؤامرة بدأت بعد ذلك بأيام بشكل أكثر شراسة واجراما للإجهاز علي ارادة الشعب ومستقبله وللحديث بقية وللثورة دروسها

المتحدث الرسمي باسم رئاسة الجمهورية